الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً. والطبقة السافلة عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقّاً كانوا مثله، وإن كان مُبطلاً كانوا كذلك. والطبقة المتوسطة هي منشأ الشرّ وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يُمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوَّقوا إليه سهام التقريع، ونسبوه إلى كل قولٍ شنيع، وغيَّروا فِطَر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق) هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه، وقد صدق، فإنّ من تأمل ذلك وجده كذلك. ثم (مات) رحمه اللَّه تعالى في شهر محرم سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف، وقد كان اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العبَّاس بن المنصور، فأملى حوادثها من حفظه بما يتعجب منه، ثم شرع في تاريخ ولده مولانا إمام العصر حفظه اللَّه، فمات بعد الشروع في ذلك.

(٣٢١)
(عَليُّ بن قَاسِم السَّنحانيّ)

بالمهملة والنون بعدها مهملة نسبة إلى بلاد سنحان اسم لقبيلة قريبة من مدينة صنعاء. كان صاحب الترجمة هو القائم بمذهب الزيدية أيام ولاية الأتراك على صنعاء، وكانوا يجتمعون إليه إلى مسجد داود، أحد مساجد صنعاء، ويأخذون عنه فقه الزيدية. ويقصده أهل الأموال منهم بالنذور الواسعة، فيصرف ذلك في تلامذته. وبالغ أمراء الأروام في اتصاله بهم فلم يفعل. واتفق في أيامه قضية هي أن بعض أولاد الأشراف من أهل صنعاء دخل يتوضأ في ذلك المسجد فلم يشعر إلَّا بِتُركيٍّ قد دخل عليه وأراد به الفاحشة فطعنه بسكين فمات، وخرج من مطاهير الماء إلى المسجد وصاحب الترجمة يُقرئ الطلبة فَسارَّه بما وقع، ثم طلب الساني الذي يسني من البئر إلى المطاهير وأمره أن يكثر المسنى إلى المطاهير، وأمر بتغليق أبواب المطاهير، فانتصب الماء حتى ملأ ساحات المطاهير ثم أمر بتقطيع التركي قطعاً صغاراً وأُخرج إلى محل بعيد. ومما يحكى عنه أنه بلغه أن رجلاً من أهل صنعاء له ولدان أمردان جميلان، وأن لهما دكانين يقعدان فيهما، ويصل إليهما أهل الفساد من الأتراك، فتقع المعاصي والمغاني ونحوها هنالك، فقال صاحب الترجمة لرجل من أهل الصلاح هل يمكنك أن تَدَّعي أن الدكانين لك وأحكم لك بذلك؟ فقال: ليس لي فيهما ملك، فقال: قد علمت ذلك ولكن هذا مما يسوغه الشرع، ففعل الرجل ذلك، وحكم له صاحب الترجمة. وكان له في إنكار المنكرات قضايا مستحسنة. وله تلامذة نبلاء،

منهم القاضي يُوسُف الحماطي. وكان اعتماد أهل صنعاء في الفتاوى عليه، ولهم فيه اعتقاد عظيم. ولعل (موته) في حدود الألف من سِني الهجرة.

٣٢٢

(عَليُّ بن مُحمَّد بن أحمد العَنْسيّ الصَّنعانيّ)[١]

الشاعر البليغ القاضي المشهور. أخذ العلم عن جماعة من أعيان عصره، وقال الشعر الحسن، فمن مقطعاته الفائقة قوله: [من المنسرح]

لَامَا عِذَارِ الحَبيبِ قَدْ أَسَرا ... قَلبي المُعَنَّى وَأَرَّقا عَيْني[٢]

مَلَّكْتُه القَلْبَ إذْ نَظرْتُهما ... فَالقَلبُ مُلكٌ لهُ بِلَامَيْنِ

ومن قصائده القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]

أَما وَدُموعٌ فيكَ تَكْتبُ ما أملي ... لَقدْ صَدَّ حتَّى شَحَّ بالكُتْبِ والرُّسلِ[٣]

وهي قصيدة جيدة. ومن بدائع قصائده القصيدة المشهورة وهي: [من الخفيف]

يا سَمِيري وَلِلفُتوَّةِ قَوْمٌ ... خُلِقوا مِنْ سُلافةِ الانْسِجامِ[٤]

بِطرازِ الرَّفا بِتَشْبيبِ مِهْيا ... ر بِلُطْفِ البَهَا بِطَبْعِ السّلامي[٥]

قُمْ فَعرِّجْ بِنا على مُرْقِصِ الشِّعْـ ... ـرِ وَفتِّشْ بِنا طَريقَ الغَرامِ[٦]

(كَعُيونِ المها) و(يا ظَبْيَةَ البَا ... نِ) (ألا فاسْقِني) (أدِرْ يا غُلامي)[٧]

وأرِحْني مِنَ الكَلامِ الذي يُشْمـ ... ـخُ أنفاً بالبأسِ والإقدامِ[٨]

(كَلَبسْنا الحَديدَ ثمَّ اعْتَنقْنا) ... أَلفاً مِنْ مُثقَّفٍ فوقَ لَامِ[٩]

---

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ١٨١؛ هدية العارفين: ١/ ٧٦٦؛ إيضاح المكنون: ١/ ٥٨٧، ٢/ ١٢٨؛ الأعلام: ٥/ ١٥.

(٢) العِذَارُ: الشعر النابت على جانبي الوجه. المُعنَّى: المُتعب. أَرَّقا العين: سَهَّداها، مَنَعاها النوم.

(٣) شَحَّ بالشيء: بَخل به.

(٤) السَّمير: الصاحب المُؤانس بحديثه في الليل. سُلافة الشيء: خِيارُه، أو ما خَلُصَ منه. الانسجام: التوافق والتناسب.

(٥) الرفّاء، ومهيار، والبهاء، والسلامي: أسماء شعراء مشهورين.

(٦) عَرَّجَ به: مال، أو نزل.

(٧) «عيون المها»: مطلع قصيدة لعلي بن الجهم. «ألا فاسقني»: مطلع قصيدة لأَبي نواس.

(٨) يَشْمَخُ: يعلو ويرتفع.

(٩) مُثقَّفٌ: رُمحٌ مُثقَّفٌ: مُقوَّمٌ. اللأم: جمع اللأمة: أداة الحرب كلّها من رمحٍ وبيضة ومغفر وسيف ودرع.